محاضرات في نظرية الأدب

للسنة الثانية ليسانس. ل م د

المحاضرة الأولى

1- تعريف النظرية

إذا كان لا بد من تعريف نظرية الأدب فإنه لا يمكننا الولوج إلى ذلك إلا بعد تعريف الأدب.

للأدب عدة تعاريف يمكننا إجمالها بالقول:(بأنه كتابة تخييلية Imaginative بمعنى التخييل fiction، أي كتابة ليس حقيقية بالمعنى الحرفي للكلمة، لكن إلقاء نظرة سريعة على ما يدرجه الناس عموما تحت عنوان الأدب تكفي للقول إن هذا التعريف لا يفي بالغرض)[1]

وقد يصعب الإلمام بتعريف واحد للأدب، فالكتابة الأدبية لا يمكن أن تكون حقيقيةً لأن الأدب يأتي عن طريق التخييل، وإذا نظرنا للأدب بوصفه خطابا (فإن معالجة الأدب بكونه كذلك معناه النظر إلى النص بوصفه علامات متوسطة بين مستخدمي اللغة: ليس فحسب علاقات الكلام بل أيضا علاقات الوعي والإيديولوجيا والمساهمة والطبقة إذ لا يعود النص شيئا، بل يغدو فعلا أو عملية)[2]، فالأدب يمكننا معالجته كخطاب حيث لا تقتصر الدراسة على علاقات أجزاء الكلام بل بالتفاعل الحاصل بين الكاتب والقارئ أي تكمن الإيديولوجيات الناتجة عن النشاط الفكري والثقافي بينهما.

كما نجد تعريفا آخر للأدب من المنطلق الثقافي ورد عند **يوري لوتمان** إذ يقول: (إن نحن اعتدنا الأدب مجموعة محددة من النصوص، فإنه ينبغي أن يُلحظ أولا أن هذه النصوص لا تؤلف سوى جزء من النظام العام للثقافة، إن وجود النصوص الأدبية يتضمن كل من

---

1 تيري إيغلتون، نظرية الأدب، تر: تأثر ديب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق،1995، ص90

2 ينظر ك، م، نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، تر: عيسى علي العاكوب ، ط1، ع للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر،1996، ص132

الحضور المتزامن للنصوص غير الأدبية والقدرة من جانب المجموعة التي تستخدمها على التمييز بينها....عندما نكون غير متيقنين من تحديد حورية الماء ....بأنها امرأة أو سمكة، أو تحديد الشعر الحر بالشعر أو النثر، نُصدر عن هذه التقسيمات التصنيفية كما هي، وبهذا الفهم يسبق تصورنا للأدب منطقيا، لا تاريخيا، الأدب نفسه)[3]، إن النصوص الأدبية هي بذلك وليدة ثقافات متشعبة تُستحضر في النصوص وعلى القارئ بخبرته تلقي هذه النصوص والتفاعل معها من منطلق ثقافته، وبذلك تتعدد القراءات تبعا لتعدد ثقافات القراء.

1 - تعريف نظرية الأدب:

برزت نظرية الأدب خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، (...لارتباطها بالأدب بوصفه تخصصا مؤسساتيا جعل من المحتم إرساء قواعد جامعة لها، خاصة وأن دراسة الأدب تقتضي من الاهتمام ما من شأنه أن يتجاوز الاهتمام بالتجربة والجمالية والذوق الشخصي.... ويعود الاهتمام بالنظرية إلى النقد الجديد...والنظرية في هذا المجال تستهدف تأمل المعنى والتركيز على الفهم وليس الحقائق او الكون التي هي مجال العلم...)[4]

[3] ينظر ك، م، نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ص186

[4] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء،2002، ص277

تُعرف نظرية الأدب بأنها مجموعة من الأفكار والآراء القوية المتسقة والعميقة والمستندة إلى نظرية المعرفة أو فلسفة محددة والتي تهتم بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته.[5]

" تدرس نظرية الأدب الظاهرة الأدبية بعامة، من منطلق شمولي في سبيل استنباط وتأصيل مفاهيم عامة تبين حقيقة الأدب وآثاره، وهذا ما يميزها عن غيرها من مجالات الدراسة الأدبية الأخرى فهي تحاول تقديم إجابات متسقة حول الأدب لأننا قد نجد كثيرا من الأفكار التي لا تستند على فلسفة محددة ولا ترقى إلى مستوى النظرية، إن اللبنات الأولى لأفكار نظريات عُرفت منذ القدم"[6].

يُعد النقد الأدبي وتاريخ الأدب أكثر حقول الدراسة الأدبية تداخلا مع نظرية الأدب، (فالناقد يتعامل مع النص ليبين مواطن الجودة والرداءة...أو ليبين لنا مدى انفعاله به أو ليصدر لنا حكما أو تقويما له، أما المنظّر الأدبي فيهتم بجملة من النصوص لا لكي يدر أحكاما أو يصور انفعاله إزاء هذه الأعمال وإنما كي يستنبط مبادئ عامة شاملة تبين حقيقة الأدب وأثره كظاهرة عامة أيضا)[7]. وإذا عدنا إلى تعريفها باختصار فـ(إن النظرية سواء كانت علمية أو أدبية تنطوي على مجموعة من التعميمات التأويلية التفسيرية، التي تؤدي على شرح وتفسير نصوص معينة، وبذلك تؤدي وظيفة منهجية)[8].

[5] د أحمد العدواني، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html

[6] يُنظر، د أحمد العدواني، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html

[7] ينظر، د شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الاردن "1،2005، ص14

[8] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص277

2- طبيعة و وظيفة الأدب

يتميز الأدب عن سائر الفنون الأخرى بطبيعة مختلفة كونه لا يملك وسيلة تعبير خاصة لغته تختلف عن لغة العلم، وقد ناقش **توماس بولوك** في كتابه(طبيعة الأدب the nature of literature):" الأدب يمتاز عن الفنون الأخرى في أنه ليس له وسيلة تعبير خاصة وفي أن الأشكال الأدبية تختلط ...وقد يكون من السهل تمييز لغة العلم عن لغة الأدب....إذ إن الأدب يشتمل على الفكر...اللغة الأدبية إذا ما قورنت باللغة العلمية فستبدو قاصرة في بعض النواحي، فهي حافة بالتراكيب التي تحمل أكثر من معنى، وهي ككل لغة تاريخية تضم ألفاظا متعددة الدلالة، كما تنطوي على تصنيفات لغوية قسرية كالتأنيث والتذكير ومشبعة كذلك بالأحداث التاريخية والذكريات والتداعيات، واللغة الأدبية باختصار تضمينية إلى حد كبير، أضف إلى ذلك ان لغة الأدب ابعد أن تكون تقريرية بحتة، إذ أن لها جنابها التعبيري"[9].

إن النصوص الأدبية تحمل لغة مغرقة في الخيال حيث تتعد معانيها وإيحاءاتها فتعكس بذلك لغة الأدب واقعا وتاريخا وتجربة، كما تحمل إيديولوجية فكرية لكاتبها، وهاته اللغة تجعل القارئ متشوقا لملأ فراغات النص وكشف خباياه ودلالاته المتعددة، عكس اللغة العلمية التي لها أسلوب مباشر ولا تحمل جمالية بما في هذه الأخيرة من دلالات مغيبة.

[9] رينيه وليك، آوستن وارن، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ، الرياض،1992، 35/34

الأدب: (نوع من الكتابة التي تمثل عنفا منظما يُرتكب بحق الكلام الاعتيادي، كما يقول الناقد الروسي **رومان جاكبسون**، ذلك أن الأدب يحوّل اللغة الاعتيادية ويشددها، وينحرف بصورة منظمة عن الكلام اليومي، وإذا ما دنوت مني عند موقف الباص ورحت تدمدم(وتظلين عروس السكينة البكر)، فسوف أدرك للتو أنني في حضرة الأدبي، وأنا أعرف ذلك لأن تركيب كلماتك، وإيقاعها ورنينها يتجاوز معناها المجرد، أو كما يقول الألسنيون بصورة اكثر تقنية لأن ثمة عدم تناسب بين الدوال والمدلولات، فلغتك تلفت الانتباه إلى ذاتها وتزهو بكينوناتها المادية الأمر الذي لا تبديه عبارة مثلا: ألا تعلم أن السائقين مضربون)[10]

إن لغة الأدب ذات طبيعة مختلفة كونها تحمل التعبير المجازي ودوالها تستدعي مدلولات متعددة عكس اللغة العادية المباشرة، وهذا ما يميزها عنها، كما ان طبيعة الأدب تعني بيان جوهر الأعمال الأدبية أي خصائها وسيماتها العامة.

2 - وظيفة الأدب:

(إن البحث في وظيفة الأدب يعني بيان العلاقة بين الأدب وجمهور القرّاء، أي بيان أثر الأدب في المتلقين، ولا شك في أن الأديب والعمل الأدبي وجمهور القراء اركان أساسية لوجود الأدب، وإذا انتفى ركن من هذه الأركان انتفى وجود الأدب)[11]

للأدب وظائف عديدة كما أن دراسة وظيفة الأدب لها امتداد تاريخ طويل في العام الغربي، بدءاً من أفلاطون وامتدادا إلى عصرنا الحاضر، إن وظائف الأدب لا تنحصر في وظيفة واحدة حيث يعد (الجمال هو في ذاته مبرر وجوده...إنهم يتساءلون عن فائدة الشعر، وما الغرض منه؟ وهم يطرحون السؤال على بعديه الاجتماعي والإنساني، ويضطر الشاعر أو محب الشعر إزاء هذا إلى تقديم الحجة إلى المجتمع وذلك باعتباره مواطنين ذوي مسؤولية فكرية، وترد حججهم في فقرات من كتاب فن الشعر....وحين يكتب المدافعون عن الأدب

[10] د لخذاري سعد، محاضرات مقياسي مناهج نقدية ونظرية الأدب للسنة الثانية ليسانس دراسات أدبية ولغوية ونقد، جامعة آكلي محند أو الحاج، البويرة، قسم الأدب العربي، ص 27

[11] د شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص13

في هذا الغرض لقرّاء من هذا الطراز، فهم بطبيعة الحال نفع الأدب أكثر مما يؤكدون البهجة الناتجة عنه، ومن ثمة اصبح من السهل الآن أن نعادل من ناحية المعنى بين وظيفة الأدب وبين ارتباطاته بأشياء أخرى مغايرة له في الطبيعة، بيدا أنه منذ الحركة الرومنسية كثيرا ما أجاب الشاعر بإجابة مختلفة لمواجهة تحدي المجتمع، إنها الإجابة التي حددها **أ.س. برادلي** في قوله: الشعر للشعر ذاته...للشعر وظائف كثيرة ممكنة ووظيفته الأولى هي الوفاء لطبيعة)[12]

إن الكتابة الأدبية تتوشح بقدرة اللغة الأخاذة على التصوير حيث تأخذ لب القارئ عن اللغة النمطية المعتادة، وللأدب أبعاد إنسانية، اجتماعية وتاريخية، حيث يُحدث تغييرا في بنية المجتمع وذلك من خلال تهذيب السلوك وتقويم الأخلاق وهذا ما تكلم عنه أفلاطون في شروطه في المدينة الفاضلة، كما أن الأدب يُعتبر كذلك مدونة تاريخية لأمة ما، وذلك تدوين أحداثها على مر العصور، ولا ينحصر دوره في هاته الوظائف المذكورة آنفا بل يتعداهن إلى الوظيفة النفسية، فالشعر – على سبيل المثال لا الحصر– وليد الطبيعة ومحاكٍ للواقع أو لتجارب إنسانية ما، يتسم بطابع الشاعرية التي تأخذ بالذوق الإنساني إلى مساحات جديدة لم تكن مجربة، فتلقي على نفسية شيئا من البهجة والجمال، كما يأخذ القارئ والكاتب معا إلى فضاءات يتم فيها التعبير عن عوالم متشابكة لا يمكن للغة العادية التعبير بها.

[12] ينظر، رينيه وليك و آوستن وارن، نظرية الأدب ص ص55/54